القومية والدولة القومية
(قراءة في رسائل النور)

د. أحمـــد اليـــاس حســـين
قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الخرطوم

د. رحاب نور الدائم احمد حفظ الله
قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الخرطوم

مستخلص:

يناقش هذا الموضوع قضية القومية والدولة القومية من خلال ما طرحه الأستاذ النورسي في رسائل النور - وهي مسألة انتشار ونمو الحس القومي وقيام الدول القومية في العالم الإسلامية وأثر ذلك على الأمة الإسلامية. يقسم الأستاذ النورسي القومية إلي عنصرية سالبة ضارة وإلى قومية إيجابية نافعة. ويوضح أن القومية السالبة وفدت من أوربا ذات التراث المتباين مع التراث الإسلامي، وناقش كيف أن هذه القومية أدت وتؤدي إلى تفتيت الأمة، بينما تشكل القومية الإيجابية جزء من تراثنا وحث المسلمين إلى ضرورة التمسك بها من أجل إعادة بناء وحدة الأمة.

كلمات مفتاحية: النورسي، رسائل النور، القومية، الدولة القومية، الوحدة، الأمة

Nationalism and the nation-state:(Readings on Rasaél el Nūr)

Dr.Ahmed Elyas Hussein
Dr.Rehab Nour Eldaim Ahmed Hafazalla

This topic discusses the issues raised by El Nursi in "*Rasaél el Nūr"* about the spread and growth of nationalism and nation-states in the Islamic world and their impact on the Muslim *Umma. El* Nursi distinguishes between negative, harmful racism nationalism and positive, beneficial nationalism. He says the former belonging to European heritage differs from the latter belonging to the Islamic heritage. He discusses how the negative nationalism has led and is leading to the fragmentation of the *Umma*, while positive nationalism relates to Muslim heritage. And he urges Muslims to adhere to it in order to rebuild the unity of the *Umma*.

Key words:el Nursi, *Rasaél el Nūr,* Nationalaism, Nation State. Unity, Umma

مقدمة:

بدأت الدعوة إلى العالمية (Globalization) منذ الطور الأول للدعوة الإسلامية في مكة قبل قيام دولة الأمة في المدينة، يقوا الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(سبأ: 28) وعندما أنشأ الرسول ﷺ الدولة في المدينة أعلن قيام الأمة التي توسعت

فيما بعد بين جنوب شرق آسيا والمحيط الأطلسي، وحل الولاء للأمة محل جميع الولاءات المحلية الإقليمية والعرقية والدينية، فأصبح الانتماء للأمة انتماءاً عالميا لا يعرف الحدود.

هذا المفهوم العالمي يختلف عن المفاهيم السياسية والدينية التي كانت سائدة في عصر الرسول محمد ﷺ، فالانتماء في الإمبراطوريات السابقة – مثل الإمبراطورية الرومانية والفارسية-لم يكن انتماءاً عالميا بل كان محليا وعرقيا ودينيا. كما كانت دعوات الرسل السابقين دعواتاً محلية أو إقليمية. روى مسلم والبخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.. الحديث([1]).

فمفهوم الأمة إذاً هو المفهوم الذي حقق العالمية بانتمائها إلى الهوية الواحدة وبعدم وجود الحدود العازلة، وبتمتع جميع أفراد الأمة بنفس الحقوق والواجبات في كل الدول الإسلامية كما سنبين ذلك لاحقا. وظلت الأمة تتمتع بهذه الامتيازات عبر تاريخها -رغم ما تعرضت له من هزات عنيفة - حتى مطلع القرن العشرين عندما تعرضت الأمة لواحدة من أعنف الهزات في تاريخها ألا وهي القومية والدولة القومية Na-tionality and Nation State .

القومية السلبية:

عاصر الأستاذ النورسي(1877-1960) ظهور هذا الخطر المتمثل في مشكلة القومية منذ الدعوات المبكرة لها في تركيا والبلاد العربية، ثم قيام الدولة القومية في تركيا وغيرها من البلاد الإسلامية وسيادة الرابطة العنصرية التي و سمها «بالداء الخبيث([2]) وفطن لخطرها وناقشها في مواضع كثيرة في كل رسائل النور. وفيما عدا ملحق بارلا وكتاب المثنوي العربي فقد تناولت كل الرسائل الأخرى هذا الموضوع وبذل الأستاذ النورسي الكثير من الجهد لعلاجه، وأشار إلى أن طلبته ومن له علاقة به يشهدون بذلك.([3]) ووضح أن فكرة القومية الحديثة وفدت إلينا من أوربا فهي غريبة غرابة المدنية الغربية عن مدنيتنا الإسلامية. _

فالقومية هي إحدى ركائز المدنية الأوربية الحديثة، كانت أوربا - قبل عصرها الحديث - تعيش نظاما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا يختلف ويتباين تباينا تاما مع أوضاع العالم الإسلامي. ولذلك فإن ما نجح في أوربا ليس من الضروري أن ينجح في المجتمعات الإسلامية من أجل اختلاف المدنيات. فالقومية الأوربية -التي تبناها المسلمون- كما صورها الأستاذ النورسي « أساسها العنصرية التي تنمو على حساب غيرها وتتقوى بابتلاع الآخرين، وشأن القومية السلبية والعنصرية التصادم المريع وهو المشاهد. ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك.([4])ووضح أن الفلسفة الأوربية الحديثة في تربية المجتمع ترى أن «القوة نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع دستورا للحياة وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية([5]).

أما الأمة الإسلامية فقد كانت أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية – في الفترة السابقة للاستعمار- تتباين مع ما كان سائدا في أوربا. فالمدنية الإسلامية كما صورها الأستاذ النورسي: « رابطتها بين المجموعات البشرية رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان، وشأن هذه الرابطة أخوة خالصة وطرد العنصرية والقومية السلبية.([6]). والأستاذ النورسي لا يعارض القومية إطلاقاً بل قسمها إلى قسمين: قسم سلبي عنصري وآخر إيجابي، أما القسم السلبي العنصري فهو»مشؤوم مضر، يتربى

وينموا بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه « ويضيف قائلا: « لقد نظرت - منذ السابق - إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية نظرة السم القاتل، لأنها مرض أوربي خبيث ، ألقت أوربا بذلك المرض الوبيل بين المسلمين ليمزقهم ويفرقهم شذر مذر ليسهل عليها ابتلاعهم قطعا متناثرة.([7]).

فالقومية السلبية تحقق هذا الهدف بتشجيع العنصريات داخل كيان الأمة وتبشر بأن اتحاد الغة والدين في أي مجموعة بشرية يكفي لقيام أمة قومية قوية.([8]) وبذلك تتفتت الأمة الإسلامية وتنقسم بعدد لغاتها إلي قوميات عرقية. ومن جانب آخر فإن أساس القومية السلبية – العصبية النوعية - يحل محل مبادئ الإسلام([9])وهو ما عبر عنه أيضا السلطان عبد الحميد منذ بداية انتشار الفكر القومي الأوربي في تركيا، فقد جاء في مذكراته أن الأوربيين» يفضلون القومية على الدين.([10]). وقد ساعدت أوربا كثيرا – في ذلك الوقت – في بث وترسيخ هذه المفاهيم القومية العنصرية علق علي ذلك السلطان عبدا لحميد قائلاً:

« علينا أن نعترف وبكل أسف بأن الإنكليز استطاعوا بدعايتهم المسمومة أن يبثوا بذور القومية والعصبية في بلادنا، وقد تحرك القوميون في الجزيرة العربية وفي ألبانيا وظهرت في سوريا بوادر تحرك مماثل لحب الوطن، وبدأ بعض الشبان الذين اكتسبوا قشور الحضارة الأوربية بإلقاء خطب في الدعوة إلى حب الوطن، لكن حب الوطن في بلادنا العثمانية يجب أن يأتي في المرتبة الثانية بعد حب الدين الذي يحتل المرتبة الأولى.([11]).

اجتاحت الدعوة إلي القومية العنصرية أراضي الدولة العثمانية لاسيما القسمين الأوربي والعربي.ففي أوربا بدأ تحرك القوميات مثل الهلينية (اليونانية) والبلغارية وتأججت نار القومية التركية التي بدأت تسخر الشعب التركي ضد شعائر الإسلام. وأصبح « إغلاق التكايا والزوايا والمدارس الدينية ، وإقرار العلمانية ووضع أسس القومية بديلا عن مبادئ الإسلام، وفرض لبس القبعة ورفع الحجاب، وفرض كتابة الحروف اللاتينية بدلا عن الحروف القرآنية، وأداء الأذان والإقامة باللغة التركية، وإلغاء دروس الدين في المدارس، ومنح المرأة حقوقا في الميراث مثل الرجل وإلغاء تعدد الزوجات» أصبحت مثل هذه الخطوات منجزات ثورية.([12]). ويصف الأستاذ النورسي كيف أدي قيام الدولة القومية – Nation State - في تركيا إلي تحول المجتمع التركي من مجتمع إسلامي إلى مجتمع قومي عنصري علماني معاد للدين، وكيف سادت الثقافة الأوربية تحت ستار القومية التركية، وأصبح التعاون التركي مع غيره من الأجناس ينافي النخوة القومية وتعرض المواطنون غير الأتراك إلى القهر والذل كما عانى الأستاذ النورسي نفسه من ذلك.([13]).

فقيام الدولة القومية في تركيا أدى إلى عزلها «وابتعد الشعب التركي الذي كان رمزا لشرف الإسلام وعزته وسيفا ألماسيا ممتازا بيد الإسلام والقرآن طوال سبعمائة سنة.([14]) وقامت الدول القومية العنصرية في بقية أراضى الدولة العثمانية وتشتت ولاء أفراد الأمة بين تلك الدول القومية وتحولت رابطة الإسلام والولاء لها إلى مرتبة دنيا، وأصبح المسلمون فريسة سهلة للأطماع الغربية. وخطر القومية العنصرية لم يقف عند حد تفتيت الأمة وتجريدها من سمتها العالمية فقط بل أمعن في إضعاف المسلمين وخضوعهم وانقيادهم المطلق للغرب بقيام الدول القومية في العالم الإسلامي. وفي الحقيقة فإن مدلول الدولة القومية الغربية لا ينطبق ويفسر واقع حال كثير من المسلمين الآن في الشرق الأوسط ووسط وجنوب شرقي آسيا.

الدول القومية المسلمة بحدودها الحالية أنشأها الاستعمار باستثناء حالات قليلة وافق فيها الاستعمار على قيامها. والأمر الأهم من ذلك أن الاستعمار هو الذي خطط ووافق على الحدود السياسية لتلك

الدول. وأصبحت كل من تلك الدول تضم – في الغالب – مجموعة عرقية متجانسة وذات لغة أو لغات وتراث مشترك. ويلاحظ أن القومية العنصرية الواحدة قد تقسمت إلي عدة دول كما في العالم العربي ووسط وجنوب شرقي آسيا. وإذا أخذنا العالم العربي كمثال نجد أن العرب كقومية عنصرية قد قُسِّموا إلى نحو عشرين دولة محلية، الولاء في هذه الدول المحلية ليس للقومية العنصرية – وبالطبع ليس للإسلام – بل للحدود السياسية. فدول العراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين بحدودها الحالية خلقها الاستعمار البريطاني والفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى، وأصبحت هذه الدول كيانات سياسية فخورة ومعتزة بنفسها وبحدودها التي رسمها الاستعمار والتي أصبح لها الانتماء الأول. فالانتماء لم يعد للقومية العنصرية أو للإسلام بل للحدود السياسية التي فرضت على كل مجموعة. والشيء المثير للدهشة والعجب أن كل مجموعة تنسى روابط القومية العنصرية واللغة والتاريخ والتراث وتحارب بعضها – في إباءٍ وشمم – من أجل المحافظة على الكيان السياسي الذي أوجده الاستعمار، وأصبح لهذا الكيان السياسي مرتبة الولاء الأولى ثم تأتي بعده بقية المراتب القومية العنصرية والإسلام. فالكيانات السياسية الحالية لم تزحزح الانتماء للإسلام إلى المرتبة الثالثة فقط بل أدت إلى زيادة إضعاف وتفتيت الأمة وخضوعها الكامل لأبيها الذي أوجدها وهو الاستعمار، وقس على ذلك أوضاع المسلمين في وسط آسيا وعالم الملايو. فالقومية العنصرية أنجبت الدولة القومية غير أن أخطار المولود فاقت أخطار الوالد. وعندما استقرأ الأستاذ النورسي التاريخ الإسلامي رأى أن القومية العنصرية لم تظهر وتهدد أضرارها قوة الأمة ووحدتها إلا في العصر الأموي.([15]). ذلك أن اعتماد الأمويين على قومية العرب وحدهم في إدارة شؤون الدولة ونظرتهم المتعالية على سائر الأقوام دفع العناصر غير العربية منذ وقت مبكر إلى الوقوف ضد الإدارة الأموية فانضم جم غفير منهم إلى الحسين بن علي ضد الأمويين، فالصراع بين الحسن والحسين من جهة والأمويين من جهة أخرى – كما رآه الأستاذ النورسي - كان صراعاً بين الدين والقومية العنصرية.([16]). ورغم الانتصارات التي حققتها القومية العنصرية تحت قيادة الأسرة الأموية ألا أن رابطة الإسلام تمكنت من جمع القوميات تحت لوائها وانتصرت على القومية العنصرية فتغيرت قيادة الأمة إلى الأسرة العباسية التي أتت إلى الحكم متبنيةً رابطة الإسلام، .([17]). فكل ما أظهرته القومية السلبية من قوة ونجاح خلال التاريخ الآسلامي كان إنجازاً مؤقتاً. وبالرغم من شدة الصدمة التي تعرضت لها الأمة في النصف الأول من القرن العشرين في تركيا وخارجها ظل الأستاذ النورسي متفائلا وعلى يقين من « أن الدولة [تركيا] وهذه الأمة ستُعوض عن هذا البلاء الذي أصابها سعادة يرفل فيها العالم الإسلامي وحرية يتمتع بها.([18]).

لم يكن تفاؤل الأستاذ النورسي هذا تفاؤلا رومانسيا مبنيا على التأملات والخيال بل بُـني على واقع عاشه وصوره لنا في رسائله. فقد شحذ النورسي الهمم وانبرى قلمه يوضح مثالب القومية العنصرية وينير الطريق أمام المسلين، وانتقل إلى معارك القتال قائداً لفرقة الأنصار المشكلة من طلبته والمتطوعين وخاض معارك ضارية في جبهة القفقاس.([19]). وبالرغم من انشغاله بالحرب لم يكف قلمه عن العمل فقد ألف كتابه إشارات الإعجاز في جبهة القتال.([20]). وكان نشاط الأستاذ النورسي ضد الإنجليز واضحا وفعالا، ولعل من أبرز تلك المواقف تصديه للقائد الإنجليزي في استانبول. فقد روى الأستاذ النورسي أن هذا القائد «تمكن من بذر بذور الخلاف بين المسلمين، وخدع شيخ الإسلام وبعض العلماء الآخرين، وجعل أحدهم يهاجم الآخر، ووسع الخلاف بين جماعة الاتحاديين وجماعة الائتلاف لكي يهيئ الجو لانتصار اليونانيين واندحار حركة المللية الوطنية.([21]).

عندئذ قام الأستاذ النورسي بتأليف كتابه الخطوات الست ضد الإنجليز وضد اليونانيين، وتمكن من تحويل رأي العلماء في استانبول ضد الإنجليز مما كان له أثر كبير على الحركة المللية الوطنية. وخطط الأستاذ النورسي إلى خلق جيل قوي البناء متسلحا بفيض رسائل النور لكي يقوم بالعمل على إعادة ترتيب الأمة وبناء وحدتها.

لم يكن هذا هو كل ما حمل الأستاذ النورسي على تفاؤله بل رأى أن هنالك عوامل قوية أخرى تعمل متضافرة من أجل تحقيق الهدف، فلا بد من التسلح بالعلم وإنشاء الجامعات « لئلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة الشاملة فتنال شرف الامتثال بالدستور الإسلامي.([22])

كما رأى الأستاذ النورسي أن الزمن ليس في مصلحة القومية العنصرية، فقد بدأ نجمها في الأفول ولم تعد قوية كما كانت عليه في السابق في أوربا خاصة بعد انتصار الشيوعية وقيام الجمهوريات السوفييتية وتبنيها برامج هجوم مركزة ومنظمة ضد القومية العنصرية.

القوميـة الإيجابيـة:

وإلى جانب كل ذلك فإن الأستاذ النورسي لم يقل بأن كل الفكر القومي سلبي عنصري وهدام بل في الفكر القومي ما هو ذوق للنفس، وإيجابية بناءة تقود إلى إعادة بناء ووحدة الأمة. فالقومية الإيجابية كما رآها الأستاذ النورسي يكن إيجازها فيمل يلي:

« القومية الإيجابية خادمة للإسلام وقلعة حصينة له ، وسوراً منبعاً حوله([23]) تتمثل في الروح الإسلامية، أساسها المحبة والرابطة الوثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أُخوة معنوية وتعاونية ،ووجود علاقة فداء بين القوم والجنس، والتزام قوي ورابطة قوية لا تهتز مع الحقائق القرآنية.([24]) فالقومية الحقيقية هي الإسلام،([25])،وعاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به،([26])ويمكن للأمة بناء قوتها برابطة اللغة والدين والروابط الوطنية والمهنية.([27]) فالقومية الإيجابية:

«نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب التعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلةً لإسناد أكثر للمجتمع.([28])فالوضع الطبيعي للمجتمعات الإسلامية هو القومية الإيجابية البناءة التي تناقض القومية السلبية العنصرية الهدامة. فقيام القوميات السلبية في المجتمعات الإسلامية إذاً هو حالة مرضية طارئة يتوقف زوالها على الشروع في العلاج، وقوة الإسلام الكامنة في المجتمعات تجعلها دوما مهيأة لمقاومة المرض ثم اجتثاثه. وقد لاحظنا بداية مثل هذه التحركات سياسيا وفكريا منذ وقت مبكر في أعمال القادة الإسلاميين مثل النورسي وغيره في المجتمعات الإسلامية. سعى أولئك القادة إلى تحصين الأمة بالمصل المضاد للداء لتقوية مناعتها للقيام بدرها في التغيير. كما سعت بعض القيادات السياسية أيضا منذ وقت مبكر للقيام بدرها في صد الخطر القومي العنصري ويبدوا ذلك في بعض أفكار السلطان عبد الحميد.

خاطب السلطان عبد الحميد أتباع القومية العنصرية الذين يعتقدون بأن حضارتهم ستمتزج بحضارة الغرب مبينا أن هنالك تناقضا بين كل من الحضارتين يستحيل معه امتزاجهما، وبين أن الدولة العثمانية «احتوت عددا كبيرا من الشعوب ... جمعتهم الرابطة الإيمانية وجعلتهم أفراداً في عائلة واحدة

... مسلمين قبل أن يكونوا عثمانيين،» وأقَر « أن تكون صفة خليفة المسلمين فوق صفة الإمبراطور العثماني فإن الدين هو أساس البناء السياسي والاجتماعي للدولة.([29]). وفي واقع الأمر فإن القومية العنصرية نجحت في خلق الدولة القومية، ثم تلا ذلك قيام الكيانات السياسية الحالية التي قسمت خريطة العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا إلى أكثر من أربعين كيانا سياسيا نصفها في العالم العربي. والسمة البارزة لتلك الكيانات السياسية هي التعصب والعداء للجار والطمع في أراضيه رغم التماثل العرقي والديني واللغوي بين الغالبية العظمى لتلك الكيانات السياسية. ويتحسر الأستاذ النورسي على هذا العداء بين هذه الكيانات السياسية في الوقت الذي تقيم فيه علاقات الود والتعاون مع الغرب، وبين أن في ذلك « التباغض والتنافر هلاك عظيم وخطب جسيم، إذ أن تلك العناصر أحوج ما تكون لبعضها البعض لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف ولشدة الفقر الذي نزل بهم ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلكم يسحقهم سحقا. لذا فإن في نظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة التي تحوم حوله.([30]).

فالكيانات السياسية - الوليد الشرعي للاستعمار – من أكبر الأخطار على الأمة وتمثل العقبة الكبرى على طريق إعادة بنائها ووحدتها. احتلت هذه الكيانات السياسية في نفوس المسلمين - الآن - محل الدين والقومية، وأصبح الدفاع عنها من أعز المقدسات . فالمسلم العربي مثلا يقتل أخاه المسلم العري الآخر في نخوة وعزة إذا أحس أنه تعدى على قدسية كيانه السياسي الذي خطّه الاستعمار. وقد تناول الأستاذ النورسي تجربة بعض الأقطار الآسيوية مع القومية فذكر أن بعض الأقوام « في آسيا قد تمسكوا بالقومية وحذو حذو أوربا في كل النواحي حتى ضحوا بكثير من مقدساتهم في سبيل ذلك التقليد... ... فالتقليد الأعمى يؤدي في كثير من الأحيان إلى حالة من الهزء والسخرية.([31]). ووضح الأستاذ النورسي كيف أن أوضاع المجتمعات الآسيوية الحالية وتراثها الماضي يختلفان عن الأوضاع في أوربا، فالدين والقلب كانا دائما العاملان اللذان يوقظان أقوام آسيا ويدفعانها ويدفعانها للرقي والتقدم بينما الحكمة والفلسفة كانتا تعاونان الدين والقلب في ذلك.([32]) وأشاد في هذا الصدد بتجربة اليابان لأنها حافظت على تقاليدها القومية وأخذت بمحاسن المدنية الأوربية، وحث المسلمين على الاقتداء بهذه التجربة.([33]). ومن الواضح أنه لا يمكن إعادة بناء الأمة إلا بإضعاف الولاء إلى هذه الكيانات السياسية ليحل محله الولاء للأمة. ورغم أن ذلك يبدو صعبا إلا أنه ليس مستحيلا، فأوربا مصدرة الفكر القومي الحديث بدأت في إضعاف الولاء للكيان السياسي وأوشكت الحدود السياسية بين الدول الأوربية أن تصبح حدودا إدارية يعبرها الأوربيون بدون تعقيدات كما خطت خطوات جادة نحو الوحدة. كيف تحقق ذلك؟ هذا ما ينبغي على المسلمين استيعابه. ويتضمن تراثنا التاريخي تجربة رائدة تتطلب الوقفة المتأنية والمراجعة الدقيقة. ففي فترة الستة قرون الواقعة بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين قامت عشرات الدول الإسلامية بعضها صغير المساحة والآخر كبيرها، وعاش بعضها لعقود قليلة بينما عمرت الأخريات، وتعاصرت الكثير من تلك الدول فيما بين الهند شرقا والأندلس غربا.

ففي القرن الثالث الهجري (9 م) إلى جانب الدولة العباسية كانت هنالك أكثر من عشرة دول محلية. وفي القرن الرابع الهجري (10 م) كانت هنالك ثلاث أسر تلقبت بلقب الخليفة وهم العباسيون في بغداد والفاطميون في القاهرة والأمويون في الأندلس. وهكذا الحال في القرون التالية، عشرات من الدول

الإسلامية التعاصرة، ذات مذاهب مختلفة سنية وشيعية وأباضية، بعضها يعترف بقيادة العباسيين الاسمية وبعضها الآخر لا يعترف بذلك.

كيف كانت أوضاع المسلمين خلال تلك الفترة ؟ ينبغي أن نتذكر أولا أن تلك الفترة شهدت عصر ازدهار الحضارة الإسلامية وسيادتها في العالم القديم مثل سيادة الحضارة الغربية الحالية. كما شهد ذلك الوقت انتشار الإسلام وقيام الدول الإسلامية في الهند وغرب وشرق أفريقيا، وكان ميزان القوى العالمي في جانب المسلمين. فكيف كانت أوضاع المسلمين والعلاقات فيما بينهم ؟

من الواضح أنه لم تكن هنالك وحدة سياسية كنظام الوحدات السائد اليوم، ولم ترفع أيٌّ من تلك الدول شعار القومية العنصرية أو تمارسه، والانتماء لمواطني تلك الدول لم يكن انتماءً قوميا أو إقليميا أو أُسَرِيا. فالمواطنين في الدولة الفاطمية لم تكن هويتهم فاطمية أو مصرية وفي بغداد لم تكن هويتهم عباسية أو عراقية، نعم كانوا أحيانا ينتسبون إلي الوطن المحلى غير أن هذا الانتساب من قبيل القومية الإيجابية التي لم تحل محل الارتياط العالمي للأمة. ومن جانب آخر فإن الحدود السياسية لتلك الدول لم تلكن ستاراً وحاجزا أمام تحركات أفراد الأمة، فكل فرد ينتمي إلى الأمة يتمتع بحرية التنقل والإقامة وممارسة جميع النشاطات الاقتصادية والثقافية والسياسية في جميع تلك الدول دون النظر إلى موطنه المحلي أو دينه أو عرقه. هذا مثال لحال أفراد الأمة في ذلك الوقت الذي غابت فيه الوحدة السياسية، فهل أثر غياب الوحدة السياسية على وحدة وقوة الامه وتماسكها؟ من الواضح أن غياب الوحدة السياسية لم يؤد إلى تفتيت الأمة كما يرى البعض. وهل يمكن أن تكون الكيانات السياسية الحالية لبنات تساهم في إعادة بناء وحدة الأمة إذا ما اتخذت من الإسلام رابطة لها خاصة وأن تحقيق الوحدة السياسية في المستقبل المنظور يبدو من المستحيلات ؟ .

الهوامش:

(1) صحيح البخاري (بيروت: دار ابن كثير 1407) 1/128 ، صحيح مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي بدون) 1/370 وقد تواتر هذا الحديث في كتب السنة والتفسير فرواه الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي والدرامي وأبي عوانة والقرطبي وابن كثير.
(2) المكتوبات، ص 79 الإشارات الواردة إلي جميع رسائل النور هنا ترجع إلى مجموعة رسائل النور المحفوظة فيCD
(3) نفس المكان السابق.
(4) رسائل النور، لكلمات ص 855.
(5) المصدر السابق ص 145
(6) المصدر السابق ص 856
(7) المصدر السابق ص 79
(8) رسائل النور، المكتوبات ص 91
(9) رسائل النور، الشعاعات ص 483
(10) السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية، ط 5 بيروت: مؤسسة الرسالة 1/ 133
(11) نفس المصدر 1/176
(12) رسائل النور، الشعاعات ص 126، 483
(13) رسائل النور، سيرة ذاتية ص 264
(14) رسائل النور، اللمعات ص 35
(15) رسائل النور، ملحق أمبيرداغ ص 415
(16) رسائل النور، المكتوبات ص 70
(17) رسائل النور، صيقل الإسلام ص 468
(18) رسائل النور،الكلمات ص 854
(19) رسائل النور، الشعاعات 542
(20) رسائل النور، سيرة الذاتية ص 291
(21) رسائل النور، الشعاعات ص 504
(22) رسائل النور، ملحق أميرداغ ص 417
(23) رسائل النور، لمكتوبات ص 415
(24) رسائل النور، لشعاعات ص 4465
(25) رسائل النور، سيرة الذاتية ص 501
(26) رسائل النور، صيقل الإسلام ص 463
(27) نفسه ص 359
(28) رسائل النور، المكتوبات ص 415
(29) السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية 1 / 133 ، 176
(30) رسائل النور، المكتوبات ص 415
(31) رسائل النور، لمكتوبات ص 417
(32) نفس المكان
(33) رسائل النور، صيقل الإسلام ص 468